اختراقها وانهيار كوادرها الكثير أيضاً.

رابعاً: لقد عكست الأطروحة صيغة من صيغ التنظيم الثوري السري، صيغة وطنية تحررية بمضامين طبقية وفكرية تقدمية اعتمدت على نفسها بشكل أساسي واستفادت من تجارب الكثير من الحركات الثورية أيضاً، وقد تمتعت بقدر من الصلابة وقدرة على الاستمرار ربع قرن ويزيد، رغم تقطع سياقها، وكانت على علاقة تعاون أو تحالف مع القوى المناضلة في الوطن والسجون، فهل ما برح هذا النوذج حاجة وطنية؟

أجابت الأطروحة من خلال مئات الصفحات أن هذا النموذج ما برح يحتفظ براهنيته. ولأن «بناء الحزب الثوري هو المسألة الأصعب»، فالحياة سوف تجيب عمّا إذا كان ثمة قدرة ذاتية للاستجابة لهذه الحاجة الموضوعية، استجابة تتمثل المتغيرات «لأن التعاسة في السياسة هي عدم تمثل المتغيرات» بما تستوجبه المتغيرات من تجديد وتعديل وتطوير وإبداع. فنموذج الأمس تفكك وتهمش في أوسلو، وهذه حقيقة تفرض استخلاص الدروس.

وثمة، جوهر مشترك، بين النموذج أعلاه والمقاومة اللبنانية التي قاتلت وصمدت في لبنان عام ٢٠٠٦ والمقاومة الفلسطينية التي صمدت وقاومت عدوان ٢٠٠٩. من زاوية التنظيم السري، بل إن هذا الصمود خلق درجة من درجات الردع إذ لم تعد صالحة الطرفة الإسرائيلية «إذا أردت أن تشعل حرباً مع العرب تسلح بالورود».

فما يتيح ويزكي النموذج أعلاه، هو توافر الشرط القيادي والجهوزية العالية، وما يتصل بذلك من رؤية فكرية عصرية، تتجاوز العشائرية والطائفية وثقافة القرون الوسطى وتتسلح بالعقل الطليق والإرث الثوري، في انحياز برنامجي صريح للطبقات الشعبية والرؤية التنموية الإنتاجية والشاملة وفهم الملموس والاستجابة للتناقضات بما تمليه من أدوات ومهمات.

والديماغوجية التضليلية غير قادرة على حجب الحقائق، فالخيار التفاوضي قد فشل باعتراف رموزه، ولم يتحقق لا «حكومة ذاتية أعلى من حكم ذاتي وأقل من دولة» حسب بيكر، ولا حكم ذاتي للفلسطينيين حسب كامب ديفيد السادات، فالجدار التوسعي العنصري يشارف على النهاية، والأغوار تم وضع اليد عليها والقدس تهوّد بوتائر سريعة، والمستعمرات تنمو بوتائر قافزة... وفلسطين تستباح شعباً، أرضاً، كرامة، أمناً... ودينامية تفكيكية تنهش الشعب...

وبالتالي فالتناقض التناحري على حاله، بين المشروع التحرري الوطني والسياسة العنصرية